

مكتبة مصر  
تقديم  
مجموعة محمد وسعد

# ارجعوا بنا

إعداد : أمير سعيد السحار



رسوم  
عبد الرحمن بكر

الناشر  
مكتبة مصر  
٣ شارع جمال مصطفى بالقاهرة





كانت مجالسُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه حينما كان عاملاً على البصرة ، تعجُّ بالعلماء والقراء ، والمحدثين ، وتطرحُ في هذه المجالسِ المسائلَ العلميةَ الدقيقة ، ويتناولها من ذوي الرأي والمشورة ما يُشارُ إليهم في المجتمع الإسلامي بأسره بالبنان .

وما أجملَ الولاةَ والعمالَ والحكام ، حينما يقومُ مجلسُهم على هذا النوعِ السامي ، وذلك اللونِ الرفيع من ألوانِ الحياةِ الجادةِ النشيطة ، فكلُّ شيءٍ يعتمدُ على العلمِ والبحثِ الدقيقِ ينتجُ أعظمَ الإنتاجِ ، ويعودُ على المجتمعِ بأكبرِ الفوائدِ وأسمائها ، وإن مجتمعاً يقومُ على هذا الأساسِ ، هو مجتمعٌ صالحٌ لا يؤثر فيه الزمن ، ولا تأتي عليه كوارثُ الأيام .. ومن ذلك تنشأ الحقيقةُ التي يُمكن أن تكونَ أساسَ الإصلاح .

والبصرةُ في هذا العصر ، سوقٌ رائجةٌ للعلم ، وميدانٌ رحيبٌ يتسابقُ فيه العارفون ، كلُّ يهدفُ إلى غاية ، ويرمي

إلى غرض ، والمطلبُ الأسمى للجميع رفعةُ الإسلام ، وصَلاحُ  
المسلمين ، واتساعُ رُقعةِ البلاد ، ليرفرفَ العلمُ الإسلامي في  
كلِّ البقاع ويتشرَّ بذلك العدلُ والتقَى والصَلاح .

وذاثَ مرّةً ، اجتمع قراءُ البصرة عند ابنِ عباس ،  
وذكروا الله ، ورفرفتِ الملائكةُ على المجلسِ بأجنحةٍ  
من نور .. ثم ذكر الفقراء ، وذكر المحتاجون  
من المسلمين ، وتحدّث القراءُ إلى ابنِ عباس في  
إخلاص ، ومحبةٍ وعطف :

- يا بنَ عباس ، أنت وليُّ الأمرِ في هذا البلد ،  
وقد أمركَ الله أن تكونَ دائماً في عونِ المحتاج ،  
كما عهدناك ، وقد واثتِ الفرصة ، وها نحن  
لذلك على واحدٍ من هؤلاء ، ممن يحبُّهم الله .  
- ومن هو ؟

- هو جارُ لنا ، صوّامٌ قوّام ، يتمنى كلُّ  
واحدٍ منا أن يكونَ مثله ، وقد زوّج بنته



من ابن أخيه ، وهو فقيرٌ ، وليس عنده ما يجهّزها به ،  
فماذا ترى في هذا الأمر ؟





و يُجِبُّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى هَذَا ، وَإِنَّمَا قَامَ مِنْ قُورِهِ ،  
وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَاعْتَزَمَ أَمْرًا .  
لَقَدْ صَمَّمُ عَلَى إِجَادِ الْمَالِ الْإِزْمِ لِتَجْهِيْزِ هَذِهِ الْفَتَاةِ ،  
إِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُوْنَ عَوْنًا لِهَؤُلَاءِ ، لَسَلَا تَشْعُرُ



هذه العروسُ بالذلةِ والمسكنةِ ، في وقتٍ هي أحوجُّ ما تكونُ فيه إلى العزةِ والكرامةِ لتُجِبَّ للوطنِ العزيزِ جنوداً أعزاءَ كراماً يَأْبُونُ الضَّيْمَ ، ولا يقيمون على ذلٍّ يُرادُ بهم . إن هذا بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الإنفاقِ ، وما عليه أن يكونَ كريماً سخياً . ما دام يقعُ هذا موقعه من القرصِ الحسنِ الذي يَعْنِيهِ ربُّ العالمين .

وأخذ ابنُ عباسٍ بأيدي القراءِ وأدخلهم داره . فأوقعهم في حيرةٍ وذهشةٍ ، وتساءلوا بالنظراتِ العابرةِ ، وفاضت بهم الأحاسيسُ ، وطاف بهم الخيالُ الشاردُ في كلِّ ناحيةٍ وصوب . وخيلَ لبعضهم أن ابنَ عباسٍ ربما شكاهم ضيقَ الحالِ . وأنه كان بوْدَه لو وَجَدَ مَالاً فَيُعِينَ هذا الرجلَ ، ولكنه كما يعلمون لا يَبْقِي كثيراً على المالِ ، وأنه لهذا يعتذرُ ، وبخاصةٍ وقد شفعَ اعتذاره بالكتمانِ ، والقولِ المعروف !! ولكن فريقاً آخرَ عَلِمَ من نبراتِ ابنِ عباسٍ ، ومن أساري وجهه حينما كان يتابعُ حديثهم ، أنه تأثر إلى حدٍّ كبيرٍ بقصةِ ذلك الرجلِ ، وأنه لا بدَّ وأن يقدمَ له المعونةَ الكافيةَ ، التي تُظهِرُهُ أمامَ الناسِ رجلاً محفوظَ الكرامةِ ،



موفور العزة ، وليس هذا على ابن عباس بعيد ، فله  
مواقفه التي يعرفها له الجميع .. !!

وانتشلهم ابن عباس مما وقعوا فيه من الحيرة والدهش  
حينما فتح امامهم صندوقاً ، فأخرج منه ستاً بدر ، ثم قال :  
- احملاوا هذا إلى الرجل .

حملوا هذه الثروة العظيمة ، بالنسبة لرجل فقير محتاج ،  
لا يجد ما يجهز به ابنته ، والبذرة عشرة آلاف درهم ،  
ولا جرّم أن ستين ألف درهم ستقع موقعاً  
من كفايته ، بل وفوق كفايته .

وحمد القراء لابن عباس هذه اليد الكريمة ، والنعمة  
العظمى ، ولكن واحداً منهم يعلن هذا ، فابن عباس لا  
يحب أن يمدح في عمل يريد به وجه الله ، وإنما يؤثر  
الصمت والسكون .

بيد أن القراء بعد ما حملوا هذه البدر

الست ، فكر ابن عباس في الموضوع











قليلًا لا يعين المتصدق ، وإنما يعين المؤمن البعيد النظر ،  
الذى لا ينظر إلى الموضوعات نظرات عابرة ، وإنما يطيل  
الفكر والنظر ، فيرى بنور الله ما لا يراه إنسان ..

وهذه تفكيره إلى أنه سيشغل هذا الرجل ، وأنه سيكون  
سببًا في بعده عن الله الذى خلقه فسواه ، وأن الرجل  
حينما يرى هذا المال ربما شغله مدة حتى ينتهى من تجهيز  
ابنته ، وبذلك يقطع عن عبادة ربه ، عن الصوم والصلاة .

ورأى القراء ما يعمل فى فكر ابن عباس . ولكنهم  
احرموا صمته ، و يُفادحونه أحدهم الحديث ، وظلُّوا  
كذلك مدة حتى قال ابن عباس فى تَزْدِيدِ وأناة :

— والله ما أنصفنا جاركم .

وذهل القراء عجبًا وخيرة ، فهذا مبلغ ما كانوا  
يحلّمون بمثله لمساعدة جارهم . إنه لمبلغ عظيم أكثر مما  
كانوا ينتظرون ، وإن ابن عباس لفعل أكثر مما يجب





عليه ، فما معنى قوله هذا ؟ وماذا كان يريد أن يمنحه إذن

إذا كان هذا المال قليلاً في نظره . وغير كافٍ لما يريد ؟؟

- وماذا تعني يا بن عباس ؟ أتعني أن هذا المبلغ قليل ؟

- كلاً ، ولكننا أعطينا ما يشغله عن قيامه وصيامه .

وفهم القراء ما يعني ، وحيدوا له هذا الشعور الخي ،

والإحساس المُرَهَف ، والحرص على تقديس كلمات

الله بالعبادة ، والنظر إلى أبعده ما كانوا ينتظرون منه ..

حقاً إنه ابن عباس : ذكاء وعلماً ، وديناً وورعاً ، ورعاية

لحقوق الله مع رعايته لحقوق العباد .

و ينطق واحد منهم بحرف ، و يبس بنت شفة ،

ولكن وجوههم ارتسمت عليها آيات التساؤل ،

وعلامات الاستفهام وكأنها تقول :

- وماذا تريد أن تصنع إذن يا بن عباس ؟؟

فاجاب ابن عباس في عزم وقوة وإخلاص :

- إرجعوا بنا .. إرجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها ،

فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه ،





وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى . !!

ولوح الشيطان من بعيد لبعض هذه القلوب ، وأقبل عليها في خداع ولين وارتياب ، يريد أن يفرسها ، ويشككها في هذا العمل الجليل ، فكيف يرضى أن يبقى هذا ، ويفعل الخير صرفاً لا يخالطه إثم ، نقياً لا تشوبه رية أو شك ؟

وأعمل الشيطان مخالفته في هذه القلوب النقية الصافية ، وتمحل لها بكل حيلة ، وأتاها من كل سبل ، ونفذ إليها من كل صوب وحذب ليحبط المسعى ، وينال الوطر .  
عجبا ! كيف تفعلون هذا ، وتقررون ابن عباس عليه ؟  
أبقى الرجل في مكانه ، لا يحرك ساكناً ، ولا يفعل شيئاً ، وتقدمون له النقود اللازمة ؟ وليس ذلك فحسب ، وإنما تكلفون أنفسكم تعباً وإرهاقاً ، وجهداً ألتم في حاجة إلى القليل منه ، بئس الكثير . وتذهبون هنا وهناك لتجهزوا له ابتته ، ويبقى هو في مكانه ، وإذا بكل شيء قد نفذ على خير ما ينبغي ، وأفضل ما يريد ؟؟ ما هذا ؟؟ إن لأنفسكم

عليكم حقاً ؟ وإن عليكم أن تحسبوا حساباً لما مستجدونه  
من جهد ، وتلاقوه من غنى ومشقة وإرهاق .. يكفي  
أن تذهبوا له بهذه النقود ، بل لا داعي لشيء من هذا ،  
وما دام هو من الفقر بحيث لا يقدر على تجهيز ابنته ، فلا  
داعي لتجهيزها ، ويجب أن تمضي فقيرة إلى بيت  
الزوجة .. لا لا ، وفروا هذا الجهد وذلك العناء !!

ولكن قلباً واحداً يستمتع هذه الوسوسة الدنيئة ،  
وظل مغلقاً في وجه هذا اللعين ، فلم يجد بُداً من الابتعاد  
ناقماً ساخطاً ، وارتفع صوت الحق يقود هؤلاء إلى عمل  
الخير الصرف ، إلى حيث يدعو الإيمان الكامل ، والأخوة  
القوية . أجل ، ارتفع هذا الصوت يقودهم ويسجل في  
صفحات التاريخ هذه العبارة : لقد فعل ابن عباس ،  
وفعل القراء .. !!

